بسم الله الرحمن الرحيم

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيّ

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ



تفريغ

رفيق الدرب

للشيخ/ أبو يحى الليبي (حفظه الله)

الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الليث الليبي – رحمه الله – :

"أما المجاهدين هم أول ركب الأمة الذي يجب أن يبذل دمه , ويجب أن يبذل جهدهُ كاملاً غير منقوص , نعلم أنه على المجاهدين دفع الكثير الكثير وبذل الغالي والنفيس حتى تتتالى وعن بطء وللأسف وتتتابع وعن تخوف كوادر الأمة وطوائف الأمة وأخص منها أولاً وقبل كل شيء زمرة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين أخصّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحاديثه بمدائح كثيرة وعظيمة فالعلماء هم الذين يُوجّهون ويرُشدون المجاهدين ويقودونهم ويستلمون أثمان دمائهم ليقدّموها في ثمراتٍ حقيقية لتصنع لأمتنا الإسلامية دولةً يحتمي فيها الضعيف"

رفيق الدرب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد .

أمة الإسلام رجال التضحية والفداء والإقدام , السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هكذا علمتنا مدرسة الجهاد وهكذا اغترفنا ونغترف من معينه الذي لا ينضب دروساً متوالية , شدة ورخاء , وفرحٌ وترح , ونصرٌ وهزيمة , وعبرٌ وعبرات واستقبال رجال وتوديع أبطال وإنما الفوز في رجاء الثواب بالصبر الجميل والثبات على السبيل والإخلاص في ذلك لله الكريم.

(وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا), فالأيام بيننا وبين أعدائنا دول ، نصاب ويصابون ونألم ويألمون ونصابر ويصابرون , ولكن العاقبة في الدنيا والآخرة للمتقين (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ).

وإن من أعظم ما ذُقنا و رأينا في ساحات الجهاد من الآلام المرّة , والأحزان الثقيلة فراق الأحبة ووداع الرفقة وغياب الأصحاب وإن حزننا ليس على قتلهم وذهابهم فحسب ، فإنا لنرجو أن يكونوا قد نالوا الشرف الذي سعوا إليه وحرصوا عليه ، وإنما حزننا على أننا خلفنا بعدهم , وبقينا وراءهم , فوالذي نفسي بيده لوددت أني غادرت مع أصحابي يوم أن وُدِّعوا وأودِعوا قبورهم الطاهرة .

ثلاثٌ يعزّ الصبر عند حلولها *** ويذهل عنها عقل كل لبيبِ

خروج اضطرار من بلاد تحبها *** وفرقة إخوانٍ وفقد حبيبِ

فما عرفنا حقيقة الصحبة ومعنى الأخوة الإيمانية وتمكن المحبة الصافية إلا في ساحات الجهاد , حيث تتلاقى الأرواح وهي تحلق في سماء الاشتياق إلى الله , وتمتزج الدماء وهي تسيل بسخاء فوق ربوع الإباء , ويتجلى التنافس على الخيرات في أسمى صوره , وأرقى حالاته فلا دنيا يُتكالب عليها ولا متاعٌ زائفٌ يُتنافس في كسبه , إنما هو روح الإيمان وطلب الجنان والحرص على الشهادة ، فلا يحرم من جنة الدنيا هذه إلا محروم ونعوذ بالله من ذلك .

أمة الإسلام , ننعى إليكم اليوم بطلاً مقداماً من أبطال الإسلام , وقائداً فذاً من قادته العظام , الذين أرقهم حال أمتهم وما تعيشه من ضعف بعد قوة , وذلةٍ بعد عزة وهوانٍ بعد رفعة , فكابد الحياة من أجل انتشالها عن انحطاطها وإخراجها من مآزقها وإعادتها إلى سابق مجدها فكان فقده فقداً وغيابه حقاً غيابا .

لعمركَ ما الرزيةُ فقد مالٍ *** ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ

ولكن الرزيةَ فقد حرّ *** يموتُ لموته خلقٌ كثيرُ

ننعى إليك أمتنا الحبيبة رجلاً من الرجال الذين سطروا مواقفهم على صفحات التاريخ بجلد الرجال وهمّة الآساد وصرامة القادة وذلة المؤمن للمؤمن وكان ختامه مسكاً كما نحسبه والله حسيبه (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ) .

ننعى إليك نموذجاً حياً ممن صنعهم الجهاد وصاغتهم العقيدة وصبغهم الاعتزاز بدينهم فأنفوا الذلة وتبرؤوا من المهانة ونبذوا الاستكانة وأخذوا الكتاب بقوة فرفعهم الله به (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) .

ننعى إليكم ليثاً من ليوث الحروب , وحماة الحقائق ورفقاء السيوف وسقاة الحتوف الشيخ المجاهد والمربّي القائد والهزبر المقدام (أبا الليث القاسمي) رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء ورفع درجته ومنزلته في عليين وجعله رفيق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ونقول في مصابنا الجلل إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وما نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا أبا الليث لمحزونون قال الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إلى الله أشكو لا إلى الناس فقده *** ولوعة حزنٍ أوجع القلب داخله

فبعد مسيرة حافلة من البذل والعطاء والعمل الدؤوب والجهاد المستمر يحف ذلك كله همةٌ عالية , ونظرةٌ ثاقبة وعقلٌ راجح وخبرةٌ واسعة وتجارب متنوعة وخلقٌ سامٍ ودّع شيخنا المقدام وليثنا الهمام ساحات الجهاد والإعداد والرباط , بل ودّع الدنيا كلها ليسلم الراية لمن بعده ولسان حاله يقول لمثل هذا فليعمل العاملون .

وإنا لنحسب أنه ممن عاهد فوفى وصدق فيه قول الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا).

فما حادَ عن دربِ الهداةِ وإنما *** على العهدِ أمضى عمره لم يغيرِ

أتته المنايا شاخصاتٍ فما انثنى *** فقالَ لها أنتِ المُنى فتشمّري

نعم, ودّع تلك الساحات التي ألفها وألفته , وأحبها وأحبته وقد سطرَّ بدمائه الزكية ما سطره من قبل بمداده الوفي حيث يقول في حق إخوانه الذين سبقوه بالشهادة: "يا رفاق الدرب قد بلغتنا رسالتكم وأقمتم علينا حجتكم ومهدتم بأزكى ما تملكون لمن بعدكم الدرب ولا نملك إلا أن نقول :

كفى الشهادةَ فيما بيننا نسباً *** إن لم تكن جمعتنا وحدة النسبِ

مهما يكن من هنات بيننا معكم *** يبقى على الدهر عهدُ غير مقتضب

وقد والله مللنا من بعدكم الحياة وصار زلالها مراً ولذيذها غصصاً وما هي إلا جولةٌ من جولات الحق على الباطل حتى ينصر الله الدين ويلحقنا بكم في عليين , إن شاء الله , إن شاء الله" .

هكذا تخرج الكلمات من القلوب الصادقة في ودادها والراسخة في عقيدتها والمستيقنة بسلامة طريقها والوفيّة لأحبتها ورفقاء دربها , تخرج بعفوية المحبين وسلاسة المشتاقين لا تكلف فيها ولا تنميق ولا تقعر معها ولا تسجيع فتتسلل إلى القلوب لتستقر في أعماقها وتهيج كوامنها لا يحول دونها حائل

ولا يمنع منها حاجب .

تسعةَ عشرَ عاماً , قضاها شيخنا في ساحات الجهاد المختلفة فصال وجال وقاتل ونازل وصبرَ وتصبّرَ وصابر ، خاضَ المعاركَ ومعامعها واعتاد الخطوب وقوارعها ركبَ المخاطر وازدرى ترهيبها , واقتحم الغمرات ولم يعبأ بشدائدها ، وقد أخذ بزمام الصعاب ليذللها بعزمه وعزيمته ويدنيها بهمته وحكمته , فكأني بصدى صوته يتردد بين جبال أفغانستان وصحارى ليبيا وسجون جلادي آل سعود :

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدرك المنى *** فما انقادت الآمال إلى لصابرِ

ليبين لأمته طريق المجد ومسلك التمكين ودروب نيل المعالي فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون).

ومن طلب العلا بغير كدّ *** سيدركهُ إذا شاب الغرابُ

لم يطق العيش تحت ظل الطغاة وأحكام الجاهلية وهو يسمع قول الله تعالى: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا).

فلبى مناديَ الجهاد وطار إلى ساحات العزة والتضحية وروحه تسبق جسده وهو يقول لكل متشبث بأرضه مستمسك بعرَضه مستثقلٍ مفارقة أهله وولده :

ليس ارتحالكَ في كسبِ العلى سفراً *** بل المقامُ على ذلٍ هو السفرُ

نعم ، انتفضَ كما انتفض غيره من أهل الغيرة على الدين والحميّة على العقيدة والشوق إلى الله ليقرع باب الجنان في كل حين ولم يلتفت إلى الذين يموّهون قعودهم بمزاعم الحكمة ويكسون حرصهم على الدنيا بكساء الأناة والتعقل وهو يتلو آيات الله البينات: (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، وهو يقرأ قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) .

ويرمي في مسامع كل قائدٍ خامد :

تجهلُ في الإقدامِ رأيي معاشرٌ *** أراهم إذا فروا من الموتِ أجهلا

أيرجو الفتى عند انقضاء حياتهِ *** وإن فرَّ عن وِرد المنيةِ أزحلا

إذا أنا هبتُ الموت في حَمْوة الوغى *** فلا وجدت نفسي من الموت موئلا

كتب الله له شرف المشاركة في منازلة أعظم إمبراطوريات الظلم والطغيان في هذا العصر ، الاتحاد السوفيتي , الذي صار أثراً بعد عين , وأم الخبائث أمريكا التي ستصير حضارتها يباباً وقوتها سرابا بإذن الله ، فتضلّعت نفسه من دروس الجهاد قولاً وعملاً وتمرس بالأحداث حتى سبر غورها وأدرك مداخلها ومخارجها ولسان حاله يقول:

تمرستُ بالآفات حتى تركتها *** تقول أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ

هبت عاصفة الصليب في حربها العصرية , فحشدت قواتها واستنفرت وكلاءها وزحفت إلى معقل الإسلام براً وبحراً وجواً ، وصاح أهل الإرجاف والتخذيل يبثون الخوَر وينشرون اليأس ويستهزئون بالقلة القليلة من أهل الإيمان ، ووقف الرجال القلة ومن بينهم شيخنا –رحمه الله– مع صدق توكلهم على الله واستحقارهم للباطل واعتزازهم بدينهم وقوة عزيمتهم وهم يأتسون بأسلافهم في السرّاء كما يقتدون بهم في الضرّاء يرددون: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ، وكلما خُوّفوا من العدو وقوته تردد في أعماق قلوبهم المليئة باليقين قوله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ), فكانوا ترس أمتهم لصد المكاره , يقارعون السيف بالسيف ويردون الظلم بالحزم , ويقابلون الدم بالدم حتى شفوا صدورهم وصدور قومٍ مؤمنين وعلّموا عباد الصليب وأذنابهم كيف يكون الرجال عند النزال فمزقوا أشلاءهم , وسفكوا دماءهم ويتموا أطفالهم وسقوهم غصصاً من الآلام لا تزال تطاردهم أينما نزلوا وحيثما حلّوا ولقنوهم دروساً ستذكرها أجيالهم جيلاً بعد جيل , فما ضرهم بعد ذلك أن سقطوا شهداء (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ) .

عرف شيخنا –رحمه الله– طريق الجنة فاستمسك بها وصبر على مكارهها لأنه يعلم أن طريقها قد حفَّت بالمكاره وصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما نحسب والله حسيبه: "كلما سمع هيعةً أو صيحةً طار إليها يبتغي الموت مظانه", وكلما اشتدت عليه الخطوب وأطبقت حوله الكروب وتوالت الشدائد هونها طلب حسن العاقبة وصرفها عنه ما وعد به الصابرون في قول الله تعالى: (إِنَّمَا

يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

فنم أيها الشيخ المبجّل هانئًا فواللهِ إنا لنرجو أن تكون قد نلت إحدى الحسنيين بل خير الحسنيين إنها الشهادة في سبيل الله , غاية المطالب وأقصى الأمنيات سعادة أبدية وحياة مرضيّة وفرحٌ وسرور وهناءٌ وحبور ورضوان من الله أكبر .

فإنا لنعلم إنك كنت حريصًا عليها جاداً في طلبها متنقلا بين مظانّها , متعرضاً لها في مواطنها فطوبى لك أن نلت ما تمنيت وبُلّغت ما رجوت بإذن الله تعالى ونقول لك ولإخوانك الذين تضرجوا بدمائهم معك من أحبتنا ورفقاء دربنا , إنا على الطريق سائرون وبالعهد مستمسكون ولأعداء الدين مُنازلون مُنابذون حتى ننال ما نلتم أو يحكم الله بيننا وبين القوم الكافرين , فإن حزننا على فراقكم لا يعني وهننا عن الاستمساك في دربكم , فلن نبكي بكاء الضعفاء وإنما هو دمٌ بدم وهدمٌ بهدم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

